الأزمة التركية - السورية العام 1998، وأثرها على العلاقات الأميركية – السورية

علي صالح حمدان حامد
أستاذ تاريخ
جامعة زاخو/ هيئة العلوم الإنسانية/ قسم التاريخ العراق

مقدمة :

أدى انفجار عدد من الأزمات الإقليمية دوراً مهماً في حدوث المزيد من الشرخ في بنية العلاقات الولايات المتحدة مع سوريا، بسبب تباين مواقف كل منها، ومدى تأثرها سلباً أو إيجاباً بها، وبخاصة الأزمة السورية - التركية، والتي أطلت برأسها وكادت أن تؤدي إلى نشوب حرب بين الدولتين الجارتين، قبل انتزاع فتيلها بجهود إقليمية ودولية.

يكتسب البحث أهميته وحيويته في أنه يحاول دراسة الأزمة السورية – التركية العام 1998، وتأثيرها على مختلف الأطراف وشرح أبعادها، وطبيعة الأسباب التي أدت إليها، ودور الدول المعنية فيها، والموقف الإسرائيلي والأميركي المريب منها، والتي صرح عنها الجانب السوري مرات عدة.

اعتمد البحث على المنهج التحليلي الوصفي في تناوله جذور الأزمة السورية – التركية والتي تعود إلى حقبة سابقة، عبر إيراد الوقائع المختلفة، ومقارنة المواقف الحاصلة وكشف الأساس الذي استندت عليه، والتي كانت قضية الحزب العمال الكردستاني أبرز الأسباب التي أسهمت في تفجرها، كما استفاد البحث من مصادر متنوعة أغنته بمعلوماتها، والتي لولاها ما خرج بالصورة الحالية، والتي تباينت بين الكتب العربية والمعربة، والدوريات المهتمة بالأوضاع السياسية في المنطقة.

أولاً/ جذور العلاقات التركية مع سوريا والولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل:

تعود علاقات تركيا مع كل من الولايات المتحدة الأميركية وإسرائيل إلى مرحلة سابقة لعلاقاتها مع سوريا، إذ تلقت تركيا المساعدات الأميركية منذ العام 1947، زاد من وتيرة علاقاتها اشتراك تركيا في الحرب الكورية، وانضمامها إلى الحلف الأطلسي في شباط 1952[1]، أما علاقاتها مع إسرائيل فتعود إلى يوم اعترافها بها رسمياً في العام 1949، وقيام رئيس حكومة إسرائيل بن غوريون (1886 -

197) بزيارة سرية لتركيا في أواخر آب 1958، والتوقيع على اتفاقية مهمة بين تركيا وإسرائيل[2]. ومقابل ذلك، كانت العلاقات السورية - التركية في وضع غير مستقر في أغلب الأوقات[3]، وخصوصاً عندما كان طلبت تركيا في آذار1987 من السفير السوري في أنقرة أن تتخذ بلاده إجراءات لمنع تسلل عناصر حزب العمال الكُردستاني عبر الحدود التركية - السورية، على إثر تعرض إحدى القرى القريبة من نصيبين للاعتداء، كما قام رئيس وزراء تركيا توركوت أوزال بزيارة رسمية إلى سوريا في15 تموز1987، التقى فيها بالرئيس السوري وطلب منه عدم السماح للمسلحين باجتياز الحدود، و توقيع اتفاقية أمنية تقضي بوضع سوريا حداً لنشاطات حزب العمال الكُردستاني[4]. وتجدر الإشارة إلى أن الرئيس السوري حافظ الأسد اعتقد أنه بتحالفه مع الحزب الكُردي سيتمكن من إجبار أنقرة على الاعتراف بحصة سوريا من مياه الأنهار المشتركة (الفرات ودجلة)، التي توجد منابعها في تركيا[5].

كان من الواضح، أن المصالح الإستراتيجية التركية - الإسرائيلية المتفقة مع المصالح الإستراتيجية الأميركية، قد طفت على السطح في أعقاب الحرب الباردة (1945 - 1990)، إذ حصلت تغييرات أدت إلى نشوء ظروف مختلفة، سمحت لدول الشرق الأوسط باعتماد مفاهيم إستراتيجية جديدة، وكانت تركيا من الدول الرئيسية في هذه اللعبة[6]. فقد قلقت المؤسسة التركية الحاكمة منذ انهيار الاتحاد السوفيتي على مركزها في الحلف الأطلسي، ولم تكن متأكدة من الدرجة التي تحرص فيها أميركا على دورها داخل الحلف، ولذلك بحثت عن مدخل آخر غير مدخل الأطلسي لضمان صداقة أمريكا لها، فكان التقارب مع إسرائيل لعلها تستطيع من خلالها إقناع الولايات المتحدة الأميركية بالفائدة من التحالف معها[7].

ثانيا/ التحالف التركي – الإسرائيلي:

استغلت تركيا المتغيرات الدولية والإقليمية لإيجاد دور إقليمي جديد يحفظ لها مكانتها في الإستراتيجية الغربية والأطلسية، عبر تطوير دورها المحوري في إطار الإستراتيجية المتغيرة للولايات المتحدة الأمريكية، لتكون قوة التوازن في أي تنظيم إقليمي مستقبلي[8]. وكان من اللافت أن الولايات المتحدة الأمريكية قد أدت دوراً مهماً في رفع مستوى العلاقات الدبلوماسية بين تركيا وإسرائيل بما يستجيب لتوجهاتها الإستراتيجية في المنطقة، حتى وصلت إلى درجة سفير في آذار 1992، ووصلت إلى ذروتها مع زيارة تانسو تشيلر رئيسة وزراء تركيا إلى إسرائيل في13 تشرين الثاني 1994، وعدت أول زيارة يقوم بها مسؤول تركي بهذا المستوى منذ قيام إسرائيل، ونتج عنها التوقيع على مجموعة من الاتفاقيات في المجالات الاقتصادية [9].

كما توجت تركيا علاقاتها بإسرائيل باتفاقية عسكرية وقع عليها الطرفان في 23 شباط1996، أثناء زيارة نائب رئيس هيئة أركان القوات المسلحة التركية لإسرائيل، وذكر وزير الخارجية التركي بخصوص ذلك "**أنقرة ليست في حاجة لمساعدة إسرائيل على ضرب سوريا وليست لديها الرغبة أو النية في ذلك**". وذلك في، إطار حملة إعلامية وسياسية تركية ضد سوريا، وتردد في أنقرة احتمال استعداد تركيا للقيام بعمل عسكري محدود ضد سوريا في إطار تحالفها العسكري مع إسرائيل وبالتنسيق مع الولايات المتحدة[10]. ومما يعزز هذا الرأي، دعوة الرئيس الأمريكي الرئيس التركي سليمان ديميريل لزيارة واشنطن في 29 آذار 1996 وقبوله الدعوة، وعدها فرصة لتأكيد العلاقات الوثيقة بين الولايات المتحدة وتركيا، وهذا الأمر يؤيد مثل تلك التكهنات[11] .

أسفرت التحركات الدبلوماسية بين البلدين إلى تعزيز التعاون بينهما، فقد أصبح بموجب إعلان تركيا وإسرائيل التوصل إلى اتفاق التعاون العسكري، بمقدور الطائرات الإسرائيلية التي لم تكن تستطيع القيام بأي تدريبات إلا فوق البحر الأبيض المتوسط منذ أن أعادت سيناء إلى السيادة المصرية، القيام بالتدريبات فوق مناطق شاسعة من الأراضي التركية. وإزاء تلك الأخطار المحدقة بها، سعت سوريا لإيجاد تحالف قوي في وجه التحالف التركي - الإسرائيلي، وتمثل ذلك بقيام عدد من ضباط الجيش الروسي بزيارة سوريا لبحث تقوية التعاون العسكري والأمني بين البلدين[12].

حذرت سوريا في 7 نيسان 1996، من خطورة اتفاق التعاون العسكري بين إسرائيل وتركيا وذكرت صحيفة تشرين في مقالها الافتتاحي أن الاتفاق يضر بمصالح العرب والدول الإسلامية، ووصفته بالعذر الجديد للتوتر وعدم الاستقرار في المنطقة، وأن الخطوات التي أقدمت عليها أنقرة لا تساعد على خلق انفراج في العلاقة السورية التركية، ولا تتفق مع حرص دمشق على بناء علاقات ودية معها[13].

ازدادت العلاقات السورية - التركية سوءاً، عندما وجه رئيس الحكومة التركية إبان زيارته الإسكندرونة في20 نيسان 1996، تهديدات مباشرة لسوريا، بذريعة دعمها لحزب العمال الكُردستاني، وأن تركيا سترد على أي اعتداء، لأنها غير مستعدة للتنازل عن أي جزء من أراضيها، وكانت تلك التصريحات قد جاءت في إطار حملة إعلامية وسياسية تركية على سوريا، وترددت أحاديث في أنقرة عن احتمال استعداد تركيا للقيام بعمل عسكري محدود ضد سوريا، في إطار تحالفها العسكري مع إسرائيل، وبالتنسيق مع الولايات المتحدة الأميركية موافقتها[14]. والجدير بالذكر، أن الأمانة العامة لجامعة الدول العربية أصدرت هي الأخرى بياناً في22 نيسان 1996، أعربت فيه عن الدهشة البالغة لتصريحات رئيس الوزراء التركي ووزير خارجيته، التي تضمنت هجوماً على دولة عربية[15].

أيدت واشنطن موقف أنقرة، خصوصاً تحذير رئيس الوزراء التركي مسعود يلماز سوريا في 9 أيار 1996، من مخاطر استمرار دعمها لحزب العمال الكردستاني، كما أكدت واشنطن وعلى لسان المتحدث باسم خارجيتها دعمها الموقف التركي بذريعة أن سوريا تدعم الحزب وعليها التوقف عن ذلك، وكانت المساعدات السورية للحزب أحد أسباب وضعها ضمن قائمة الدول التي تتهمها الولايات المتحدة الأميركية برعاية الإرهاب في تقرير الإرهاب الدولي السنوي الصادر عن وزارة الخارجية في أيار 1996[16].

حدث انفراج نسبي في العلاقات السورية - التركية، إثر تشكيل حكومة تركية جديدة في 29 حزيران 1996، برئاسة نجم الدين أربكان (1926 - 2011)، فقد جرى تبادل الرسائل مع الرئيس السوري بخصوص الرغبة المشتركة في توثيق العلاقات بين البلدين[17]. ويبدو أن الأمر شجع وزير الخارجية السوري والطلب من تركيا في4 تموز1996، إعادة النظر في الاتفاق التركي - الإسرائيلي، والتذكير بأنهم ضد الأحلاف، وأن من مصلحة تركيا والعرب أن تكون بينهما علاقة طيبة، كما رحب بالحوار مع تركيا[18].

عموماً، تحسنت العلاقات التركية – الأميركية، فقد أوضح مسؤول كبير في الإدارة الأمريكية في1 أيلول 1996، أن لديهم علاقات واسعة النطاق مع الحكومة التركية، ومما عزز كلامه أن الطرفين شهدا تعاوناً وثيقاً، إلى حد كبير كون تركيا عضوة في منظمة حلف شمال الأطلسي[19]. وزيادة في التعاون بين الجانبين، عقدا اتفاقاً لتجنب الازدواج الضريبي في 3 أيلول 1996[20].

وتجدر الإشارة إلى أن الاتفاق التركي - الإسرائيلي كان مقدمة لترتيبات أمنية إقليمية، في إطار الالتزام الأمريكي بالحفاظ على تفوق إسرائيل العسكري، واحتكارها للسلاح النووي كرادع إستراتيجي، ويتفق مع الإستراتيجية العسكرية الأمريكية القائمة على مبادئ الدفاع الوقائي والهيمنة والسعي لبناء منظومة أمنية في الشرق الأوسط ووضعها في أيدي قوى حليفة يمكن الوثوق بها كإسرائيل وتركيا للحفاظ على المصالح الأمريكية في المنطقة في مواجهة قوس الأزمات الذي يشمل إيران وبعض الدول العربية[21].

كما أكد رئيس الوزراء التركي مسعود يلماز أن العلاقات العسكرية المتنامية لبلاده مع إسرائيل، ستساعد على تحقيق الاستقرار في الشرق الأوسط . فيما ذكرت صحيفة البعث أن زيارة الأخير إلى إسرائيل هي خطوة عدائية وعلى الدول العربية والإسلامية مواجهتها وتطويق نتائجها بحزم. وجددت انتقاد علاقات الأردن مع كل من إسرائيل وتركيا ومشاركتها في المناورات العسكرية البحرية التي جرت في البحر المتوسط بمشاركة قوات إسرائيلية وتركية وأميركية. ونددت بحكام تركيا لعدم إصغائهم إلى

النداءات العربية والإسلامية التي حثتهم على التخلي عن علاقاتهم مع إسرائيل من أجل تعزيز صلاتهم مع العرب والمسلمين. وقالت "**على الرغم من التحذيرات التي أطلقتها الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي وحركة عدم الانحياز، والتي نبهت إلى خطورة التحالف التركي - الإسرائيلي، يبدو أن الحكومة التركية أصمت آذانها عن النداءات والمبادرات الصادقة وراحت تصعد من مواقفها**" وأشارت إلى أن مواقف تركيا اتسمت بالتلويح بإجراءات عسكرية استفزازية والاندفاع نحو التحالف المشبوه مع إسرائيل، إذ بدأ مسعود يلماز زيارة فريدة من نوعها إلى إسرائيل، واستعادت صحيفة تصريحات رئيس الوزراء الإسرائيلي، حيث أعلن فيها أن علاقات إسرائيل بتركيا تعد المحور الرئيسي للترتيب الأمني في المنطقة، مشيرة إلى أن إسرائيل تريد إقامة تحالف أمني يكون طوقاً أمنياً نارياً يحيط بسوريا والعراق وإيران [22].

ثالثا/ تفجر الأزمة السورية – التركية وتداعياتها:

بلغت الخلافات السورية - التركية أوجها باندلاع الأزمة بينهما في بداية تشرين الأول 1998، والتي لم تكن أمراً مفاجئاً بالنسبة للكثير من المراقبين، فقد كان التوتر سيد الموقف بين البلدين خلال الأسابيع التي سبقت الأزمة، حيث اتهمت صحيفة تشرين السورية في22 أيلول 1998 تركيا بان لديها أطماعاً توسعية، وانتقدت التحالف التركي - الإسرائيلي الموجه ضد العرب[23].

اشترطت أنقرة تسليم عبد الله أوجلان [24]. قبل أي حوار مع دمشق، حيث حاولت أنقرة فرض قضية حزب العمال الكُردستاني على أنها القضية الأولى، وهو موقف وصفه الأخير في إحدى المقابلات الصحفية، التي أجريت مع مسؤول الحزب بأنه موقف غريب " **سوريا لا تقدم أي دعم أو مساندة ملموسة للحزب، بل هي ترى أن ليس لها مصلحة في معاداة القضية الكُردية وحزبنا بشكل عام، بينما تحاول أنقرة خلق هذا العداء، ومثلما تحالفت مع إسرائيل لشن حربها على الكُرد تريد أن تعتمد على سوريا لمزيد من الضغط علينا**". مذكراً في الوقت نفسه "**أن السياسات الأميركية والتركية لا تتضمن أي منفعة للكُرد**" [25].

المهم في الأمر، كان حزب العمال الكُردستاني بقيادة زعيمه أوجلان خلال الأعوام الماضية، قد أصبح شوكة في خاصرة السلطات التركية، فقد اجبرها ذلك على الاحتفاظ بعشرات الآلاف من جنود ثاني اكبر جيش في حلف الأطلسي مشغولين بعمليات عسكرية وصلت تكاليفها إلى نحو ثمانين مليار دولار. وفي الوقت الذي وصفت دول كثيرة حزب العمال بالمنظمة الإرهابية بسبب عمليات التفجير والكمائن، أجرى الحزب تغييراً على تكتيكاته إذ لم يعد يطالب بالاستقلال أو حتى بالحكم الذاتي، بل بحقوق سياسية وثقافية، وإلى اشتراك الحزب في العملية السياسية التركية[26].

في3 تشرين الأول 1998 عمدت السلطات التركية إلى تصعيد مفاجئ للتوتر في العلاقات السورية - التركية بإطلاق كبار المسؤولين والعسكريين الأتراك تصريحات عدائية ضد سوريا، وذلك على الرغم من المحاولات الجادة التي بذلتها سوريا لإقناع تركيا برغبة سوريا في متابعة الحوار البناء لحصر الخلاف وإيجاد الحلول المرضية للمشاكل العالقة بين البلدين، حيث دعت سوريا باستمرار وبإلحاح الجانب التركي إلى اعتماد الحوار الودي، كما دعت إلى استئناف نشاط اللجان المشتركة المختصة بمناقشة القضايا الأمنية وغيرها واقتراح حلول ناجحة لها، غير أن الجانب التركي واصل تجاهله لهذه الدعوات واستمر بمقاطعة هذه اللجان وتعطيلها، تزامن هذا التصعيد مع تصعيد التعاون العسكري مع إسرائيل في تحالف كشف رئيس الحكومة الإسرائيلية عن أغراضه وأهدافه الحقيقية في إعادة الشرق الأوسط إلى سياسة الأحلاف والمحاور التي رفضتها شعوب المنطقة [27].

دفعت تركيا بالمزيد من قواتها المسلحة إلى منطقة الحدود المشتركة مع سوريا 4 تشرين الأول 1998، حيث تلقى أعضاء البعثة الدبلوماسية التركية في دمشق تعليمات بترحيل عائلاتهم إلى أنقرة خلال أسبوع تحسباً لاندلاع أعمال حربية. وفي الوقت نفسه، حذر الرئيس التركي سليمان ديميريل، سوريا صراحة من عواقب الاستمرار في دعم حزب العمال الكُردستاني. وأكد أن بلاده في موقف الدفاع عن النفس ضد سوريا، ووصف الموقف بين البلدين بأنه خطير. كما ذكرت صحيفة "ميلليت" أن فريق إدارة الأزمة في أنقرة وضع ثلاثة سيناريوهات محتملة، ويفترض أولها أن تذعن سوريا لجميع المطالب التركية المتعلقة بتصفية وجود القادة الكُرد، نظراً لعدم قدرتها على سحب قواتها من خطوط المواجهة مع إسرائيل، وفي حالة الرفض فإن السيناريو الثاني يقضي بشن غارات جوية محدودة على قواعد حزب العمال الكُردستاني في سهل البقاع اللبناني، أما السيناريو الثالث فيتضمن شن ضربة جوية مكثفة على معسكرات الحزب داخل الأراضي السورية، ومن ثم اندلاع حرب شاملة بين الدولتين، بسبب إصرار أنقرة على ضرورة تسليم دمشق عبد الله أوجلان كشرط لوقف التصعيد بين البلدين[28].

حذر الرئيس السوري في مباحثاته مع الرئيس المصري في 4 تشرين الأول 1998، أن الوضع بين تركيا وسوريا يتسم بالخطورة، وأن الأزمة يجب أن تعالج بالحوار الدبلوماسي، وليس عبر المواجهة أو التهديدات التي ترفضها سوريا، كما أوضح أن الموقف العربي يدعم حل المشكلات القائمة بين سوريا وتركيا في إطار من الحوار الودي، وعبر عن شعوره بالاستغراب والمفاجأة من تصريحات المسؤولين السياسيين والعسكريين الأتراك. وذكر أنه ليس هناك أي شيء جديد يستدعي التصعيد[29].

تبرأت إسرائيل أن يكون لها يد في إثارة الخلافات بين سوريا وتركيا، حيث أعلن بنيامين نتانياهو في4 تشرين الأول 1998، أن بلاده ليس لها علاقة بالنزاع بين تركيا وسوريا، وأن إسرائيل اتخذت خطوات لطمأنة سوريا إلى أنها ليست معنية بالتدخل في مثل هذا النزاع، كما أوضح إسحق موردخاي أن قوات جيشه تلقت أوامر بتخفيف مناوراتها الروتينية على الحدود المشتركة مع سوريا، بغرض تأكيد عدم وجود نيات عدوانية تجاه دمشق[30].

تجلى موقف الولايات المتحدة الأمريكية إزاء اشتداد تأزم الوضع بين سوريا وتركيا، بإعلانها في 5 تشرين الأول 1998، عن مساندتها الكاملة لجهود الوساطة التي يقوم بها الرئيس حسني مبارك لنزع فتيل الأزمة التركية - السورية، حيث صرح المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية جيمس فولي، أن واشنطن أجرت اتصالات بالجانبين التركي والسوري، ودعا حكومتي البلدين إلى التوصل إلى حل سلمي[31]. يبدو أن طلب الولايات المتحدة الأميركية من الرئيس حسني مبارك التدخل أثمر في إجراء الأخير مباحثات في 6 تشرين الأول 1998 مع الرئيس ديميريل في أنقرة ومع الرئيس السوري في دمشق لحل الأزمة وتفادي وقوع حرب بين البلدين[32]. عموما، اتسم الموقف الأمريكي من الأزمة بعدم التوازن، بحكم رعايتها ودعمها للتحالف بين تركيا وإسرائيل ومشاركتها للأخيرتين في اتهام سوريا بدعم الإرهاب، لذلك جاءت مطالبة وزير الخارجية السوري في 8 تشرين الأول 1998 الحكومة الأمريكية بأن يكون موقفها موضوعياً ومتزناً[33].

وجدت سوريا أن ما تقوم به تركيا هو أمر مدروس ومنظم، هدفه خدمة المصالح الإسرائيلية ليس أكثر، حيث اتهم مسؤولون في حزب البعث السوري في دمشق، الحكومة التركية في7 تشرين الأول 1998، بتصعيد التوتر في المنطقة من خلال تهديدها لسوريا بضربات عسكرية، مؤكدين أن ذلك يصب في النهاية في مصلحة السياسة الإسرائيلية، كما ذكر عبد الله الأحمر الأمين العام المساعد لحزب البعث أن التصريحات العدوانية لبعض المسؤولين الأتراك، هدفها استفزاز سوريا وتصعيد التوتر في المنطقة وتهديد أمنها، وهو ما يتكامل مع سياسات إسرائيل ومواقفها وممارساتها العدوانية[34].

كما دعا وزير الخارجية السوري الولايات المتحدة الأمريكية خلال اتصال هاتفي مع مارتن أنديك مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية في 8 تشرين الأول 1998 إلى اتخاذ موقف واضح ومتوازن من الأزمة السورية التركية، وتؤيد واشنطن للموقف السوري المطالب بالتسوية الدبلوماسية للأزمة، كما أعلن وزير الخارجية الإيراني كمال خرازي، والذي ترأست بلاده منظمة المؤتمر الإسلامي، في محاولة لنزع فتيل الأزمة بين تركيا وسوريا عن مهمة وساطة بين أنقرة ودمشق، تزامنت مع الجهود التي بذلتها مصر لإنهاء التوتر [35]. وفي 9 تشرين الأول 1998 ذكر إسماعيل جيم وزير الخارجية التركي عقب استقبال الرئيس

التركي سليمان ديميريل لوزير الخارجية الإيراني أن بلاده لا ترغب في دخول حرب مع سوريا، لكنها عاقدة العزم هذه المرة على حمل دمشق على وقف مساندتها لحزب العمال الكُردستاني[36].

أيدت الولايات المتحدة الأمريكية على لسان المتحدث باسم البيت الأبيض في 10 تشرين الأول 1998 جهود حل الأزمة وتأمل في أن يقوم الجانبان بتسوية النزاع سلميا، كما دعا وليام كوهين وزير الدفاع الأمريكي إلى تفادي حدوث نزاع مسلح بين سوريا وتركيا، وطالب دمشق بالامتناع عن إيواء مسلحي حزب العمال الكُردستاني، وجدد دعم واشنطن في الحفاظ على استقرار المنطقة. كما صرح وزير الخارجية السوري عقب استقبال الرئيس المصري له، أن الأزمة مفتعلة ومؤسفة ومصدر قلق للجميع، وقال "**إننا في سوريا رفضنا مثل هذا التهديد، وأكدنا رغبتنا الصادقة في التوصل إلى حلول دبلوماسية لكل المشكلات المعلقة بين البلدين**". وذكر كذلك "**أننا نخوض في تفاصيل موضوع اتهامنا بمساندة بعض المنظمات، أن هناك مشكلات تركية داخلية وبعداً إسرائيلياً في المسالة**"[37].

استنفر الرئيس حسني مبارك الدبلوماسية المصرية لمنع نشوب حرب تركية - سورية تحت لافتة دعم الأخيرة لحزب العمال الكُردستاني المناوئ لأنقرة وإيواء زعيم الحزب، وحين بدأت ملامح التصعيد هذه المرة من جانب تركيا جاءت الزيارة المفاجئة التي قام بها الرئيس المصري إلى العاصمة السعودية ولقاؤه الملك فهد بن عبد العزيز لتدارس أخطار التصعيد التركي والعمل على احتوائه، كما اتصل الرئيس المصري بالرئيسين السوري والتركي وزار البلدين على رأس وفد كبير، وأجرى قبل الزيارتين اتصالين هاتفيين مع رئيس الحكومة الإسرائيلية بنيامين نتانياهو ووزير دفاعه أسحق مردخاي وشدد على ضرورة التزام إسرائيل بالهدوء وألا تتخذ أي إجراءات تصعيديه في الجولان السوري المحتل من شانها تعقيد الموقف، وكان الرئيس المصري قد بلور مبادرة خاصة باحتواء النزاع السوري - التركي قبل زيارة البلدين وتلخصت شروط المبادرة في وقف الحملات الإعلامية المتصاعدة بين البلدين، واستضافة اجتماع لوزيري خارجيتي سوريا وتركيا في القاهرة لبحث تسوية عاجلة للتصعيد الحدودي، وفي حالة نجاح هذا الاجتماع يجري الترتيب لقمة بين حافظ الأسد وسليمان ديميريل لبحث المشاكل العالقة والحساسة مثل المياه وقضية حزب العمال الكُردستاني، وعقد اجتماعات أمنية بين الجانبين لتبادل المعلومات وتأمين الحدود البرية وبحث أوجه التعاون الأمني، والحفاظ على الحد الأدنى من العلاقة بين البلدين بحيث يسمح بإمكانية وقف التصعيد وعدم الدخول في الحرب، وعودة الأوضاع على الحدود إلى ما كانت عليه قبل التصعيد العسكري الجديد، والبدء فوراً بإجراءات لبناء الثقة بين البلدين ومناقشة الملفات بشكل مفتوح من دون تصورات مسبقة، وعدم تدخل أي دولة في شؤون الأخرى مستقبلاً[38].

المهم في الأمر، أن المباحثات بين وفدي البلدين على مستوى الخبراء الفنيين في المجال الأمني وخبراء السياسة الخارجية، بدأت في19 تشرين الأول1998، على الحدود السورية - التركية وسط تأكيد كلا الطرفين أهمية التوصل إلى حل سلمي للنزاع. وذكرت الصحف التركية أن الوفد السوري قدم لنظيره التركي قائمة بأسماء المعتقلين في سجون سوريا من عناصر حزب العمال الكُردستاني، وأن السوريين رحبوا بزيارة محققين أتراك لهذه السجون لاستجواب معتقلين الحزب. ومن ناحية أخرى، أعلن عبد الله أوجلان أنه لم يعد يقيم في سوريا وأنه نقل نشاطه إلى المناطق الكُردية[39].

لقد نجحت جهود الوساطة المصرية والإيرانية في إنهاء التوتر بين سوريا وتركيا وتسوية الأزمة، حيث عقد اجتماع أمني سوري - تركي في منطقة أضنة التركية تم فيه التوصل إلى توقيع اتفاق أمني في 21 تشرين الأول 1998، عرف ب- " اتفاق أضنة" . وأهم ما اتفق عليه كان تعهد سوريا بإغلاق معسكرات حزب العمال الكُردستاني في أراضيها وفي وادي البقاع اللبناني الذي يخضع لسيطرتها، وتنسيق التعاون الأمني بين الجانبين وفي المقابل تعهدت تركيا بعدم السماح بانطلاق أي نشاط من أراضيها يهدد استقرار سوريا[40].

اضطرت دمشق وتحت تهديد أنقرة بالاجتياح العسكري، إلى توقيع اتفاقية أضنة والتي تنازلت فيها عن مطالبها السابقة، وقبلت بان تضع حداً لنشاط حزب العمال الكُردستاني على أراضيها، وأن توقف مختلف أشكال الدعم للقضية الكُردية التركية في سوريا ولبنان، بل أن تركيا حصلت أكثر من ذلك، على جائزة ترضية استثنائية هي تكريس الاعتراف بضمها لواء الإسكندرونة، الذي ما انفكت سوريا تطالب بعودته منذ استقلالها[41].

وتجدر الإشارة إلى أن الرئيسين السوري والمصري، أجريا مباحثات في شرم الشيخ في 1 تشرين الثاني 1998، تناولت تطورات العلاقات السورية - التركية وعملية السلام في الشرق الأوسط [42]. كما أكد بيان وزراء خارجية دول إعلان دمشق في12 تشرين الثاني 1998، حرصهم على التمسك بالمواقف المبدئية الثابتة لتعزيز التضامن العربي بما يخدم المصالح العليا للأمة العربية واستعادة أراضيها ومتابعة التحرك العربي الفعال[43].

أعطت الولايات المتحدة الأميركية الضوء الأخضر لأنقرة للضغط على دمشق لإنهاء وجود عبد الله أوجلان ومعسكرات مقاتليه في سوريا والبقاع اللبناني، غير أن سوريا ولبنان طالما نفيا الاتهامات التركية وقبلا قيام فريق من المفتشين الأتراك بجولات في أي أماكن زعمت حكومتهم وأحزابهم أنها مخصصة لحزب العمال الكُردستاني، وكانت تلك الأزمة قد أدت في 12 تشرين الثاني 1998، سقوط

زعيم الحزب في فخ اللجوء السياسي في روما بعدما ألقي القبض عليه بمطار روما ومع ردود الفعل الكُردية العاصفة التي شهدتها أنقرة وروما وبضعة عواصم أوروبية أخرى، بدا أنه فقد موقع يمكن اللجوء إليه بعد أن أقفلت دمشق مرغمة تحت التهديد بعدوان تركي عسكري أبوابها وحدودها ورفضته موسكو وتخلت عنه روما، رغم وعودها له باستقباله لاجئاً [44]. بسبب انتقادات حكومة بولنت أجاويد، الحكومة الايطالية لسماحها له بمغادرة ايطاليا [45].

بدا واضحاً من مجريات اعتقال زعيم حزب العمال الكردستاني في15 شباط 1999، أن ملامح صفقة أميركية – تركية سرية كانت وراء اعتقاله في كينيا، كما أن الدبلوماسية الأميركية مارست ضغوطاً على العواصم التي لجأ إليها لإغلاق الباب أمام طلبه اللجوء السياسي وترحيله من أراضيها، واعترف وزير العدل اليوناني بخرق الموساد للمخابرات اليونانية [46] .

الخلاصة

يمكن الاستنتاج مما سبق، أن الأزمة السورية – التركية، كانت ميداناً آخر شهدت فيه العلاقات الأميركية – السورية تراجعاً ملحوظاً، نتيجة اختلاف وتباين كل طرف إزاء الأزمة، ففي الوقت الذي شكل فيه التهديد التركي خطراً حقيقياً على سوريا، واعتمادها في ذلك على ذريعة إيواء الحكومة السورية لعناصر حزب العمال الكُردستاني، كانت إسرائيل قد وجدت أن المجال قد أصبح متاحاً بصورة أكبر لتمتين علاقاتها مع تركيا، إذ شهدت علاقاتها معها نمواً متزايداً خلال الفترات السابقة، ومع أن الولايات المتحدة الأميركية كررت أكثر من مرة أنها تقف المسافة نفسها من أطراف الأزمة، إلا أن الأدلة تؤكد أنها كانت الراعية الحقيقية للتحالف الإسرائيلي – التركي، لان سياسات البلدين كانت تصب في مصلحة تعزيز الهيمنة الأمريكية في المنطقة بعدة أشكال، وهذا ما دفعت سوريا إلى التوجس من الولايات المتحدة، والتصريح أنها المحرك الأساسي فيما تشهده من الأزمات الخانقة في محيطها الإقليمي.

الإحالات والهوامش :

1 - باتريك سيل، الصراع على سورية دراسة للسياسة العربية بعد الحرب 1945 . 1958، ت: سمير عبده، محمود فلاحة(بيروت، 1968)، ص13. تندرج العلاقات التركية . الأمريكية في سياق مزدوج، الأول: هو اتجاه تركيا إلى الارتباط بالغرب، والسياق الثاني فهو: مد الولايات المتحدة الأميركية مظلتها الأمنية والإستراتيجية إلى المنطقة، عقيل سعيد محفوض، سوريا وتركيا الواقع الراهن والمستقبل، (بيروت، 2009)، ص170.

2 - علي صالح الميراني، العلاقات التركية . الإسرائيلية 1949 . 2009، (دهوك، 2010)، ص 22؛ خليل إبراهيم الناصري، التطورات المعاصرة في العلاقات العربية التركية،(بغداد، 1990)، ص 201؛ خورشيد حسين دلي، سياسة تركيا الخارجية ،(دمشق، 1999)، ص 59.

3 - يتمثل جوهر الأزمة التركية ـ السورية في الموقف السوري الرسمي من لواء الاسكندرونة، والذي تعده دمشق جزءاً من سوريا، بينما يسمي الأتراك ذلك الإقليم بـ "هاتاي" ويعدونه جزءاً من بلادهم، توفيق المديني، العرب وتحديات الشرق الأوسط الكبير ، (دمشق، 2010)، ص 294.

4 - خليل علي مراد، العلاقات السورية ـ التركية في ضوء أزمة أوجلان تشرين الأول/ أكتوبر 1998، مركز الدراسات التركية، أوراق تركية المعاصرة، جامعة الموصل، العدد(16)، ربيع 2001، ص 73.

5 - مع إعلان عبد الله أوجلان الحرب ضد النظام التركي في العام 1993 وتنفيذ حزبه عدد من الهجمات ضد المصالح التركية في الخارج، بدأت الصحافة التركية تشن حرباً إعلامية ضد سوريا، متهمة إياها بدعم الحزب، ينظر. وليد رضوان، مشكلة المياه بين سوريا وتركيا،(بيروت، 2006)، ص39.

6 - مجلة المشاهد السياسي "تطمينات ديميريل لم تنجح في إزالة القلق السوري" العدد(81)، 28 أيلول ـ 4 تشرين الأول 1997، ص22.

7 - مجلة الحوادث "مع اشتداد الأزمة السياسية بين اربكان وقيادة الجيش يتحول التعاون العسكري مع إسرائيل إلى قضية خطيرة " العدد(2117)، 30 أيار ـ 5 حزيران 1997، ص33.

8 - ماجد محمد شدود، التحالف الاستراتيجي بين تركيا وإسرائيل، اتحاد شبيبة الثورة، سلسلة الثقافة السياسية، العدد (5)، 15 تشرين الأول 1998، ص36.

9 - المصدر نفسه، ص 47.

10 - هيثم الكيلاني، البعد الأمني لمعاهدة السلام الأردنية والاتفاقية العسكرية التركية ـ الإسرائيلية في سمعان بطرس فرج الله وآخرون، أعمال ندوة مستقبل الترتيبات الإقليمية في منطقة الشرق الأوسط وتأثيرها على الوطن العربي،(القاهرة، 1998)، ص ص120ـ 124؛ جلال عبد الله معوض، صناعة القرار في تركيا والعلاقات العربية ـ التركية، (بيروت، 1998)، ص221.

11 - THE WHITE HOUSE, Office of the Press Secretary, (Hackensack, New Jersey), STATEMENT BY THE PRESS SECRETARY, March 11, 1996.

12 - مجلة المشاهد السياسي"تطمينات ديميريل ... "، ص22.

13 - جريدة الأهرام، العدد (39935)، 8 نيسان 1996.

14 - ماجد محمد شدود، المصدؤ السابق، ص 60.

15 - مجلة الحوادث "تحرك سوري نشط لمتابعة المستجدات الخطيرة" العدد(2117)، 30 أيار ـ 5 حزيران 1997، ص14.

16 - هيثم الكيلاني، المصدر السابق، ص ص120ـ 124.

17 - قصي غريب عليوي، السياسة الخارجية الأميركية تجاه سورية في المدة الواقعة بين 1989 ـ 2004، أطروحة الدكتوراه غير منشورة قدمت إلى مجلس كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، (بغداد، 2007)، ص87.

18 - خليل علي مراد، المصدر السابق، ص74.

19 - ينظر نص تصريح وزير الخارجية السوري فاروق الشرع، يطالب فيه تركيا بإعادة النظر في الاتفاق التركي الإسرائيلي، في مجلة الدراسات الفلسطينية، العدد(28)، المجلد 7 (خريف، 1996)، ص 217.

20 - THE WHITE HOUSE, Office of the Press Secretary (Little Rock, Arkansas), PRESS BRIEFING BY SENIOR ADMINISTRATION OFFICIAL Filing Center Robinson Center Little Rock, Arkansas, September 1, 1996.

21 - THE WHITE HOUSE, Office of the Press Secretary, TO THE SENATE OF THE UNITED STATES, September 3, 1996 .

22 - ماجد محمد شدود، المصدر السابق، ص ص 63 ـ 64.

23 - مجلة الحوادث "جهود لإحياء التضامن العربي الفعال وجبهة إسلامية متراصة وتفعيل دور أوربا" العدد(2149)، 9 ـ 15 كانون الثاني 1998، ص.13

24 - ينظر حياة أوجلان، في رجائي فايد، أحمد بهاء الدين شعبان، أوجلان الزعيم والقضية، (القاهرة، 1999)، 108 وما بعدها.

25 - خليل علي مراد، المصدر السابق، ص75.

26 - مجلة المشاهد السياسي "دمشق تشكك في أهداف التعاون التركي ـ الإسرائيلي " العدد(131)، 13 ـ 19 أيلول 1998، ص14.

27 - نقلاً عن: إبراهيم حميدي "اوجلان: التقارب السوري التركي لا يخيفنا "مجلة الوسط، العدد(324)، 13 نيسان 1998، ص 18.

28 - مجلة المشاهد السياسي "14 عاما على حزب العمال الكردستاني أوجلان يغير أهدافه وتكتيكاته " العدد(131)،13 . 19 أيلول 1998، ص26.

29 - ينظر تصريح المصدر السوري المسؤول بشأن التوتر في العلاقات السورية. التركية في مجلة الدراسات الفلسطينية، المجلد 10، العدد 37 (شتاء 1999)، ص 214.

30 - The New York Times, Turkey's Ties To Syria Sink To War in All But the Name, October 04, 1998.

31- The New York Times, Mubarak Visits Syria in Effort To Defuse Crisis With Turkey, October 05, 1998.

32 - جريدة الأهرام، العدد(40845)، 5 تشرين الأول 1998.

33 - جريدة الأهرام، العدد(40846)، 6 تشرين الأول 1998.

34 - جريدة الأهرام، العدد(40847)، 7 تشرين الأول 1998.

35 - يوسف إبراهيم العيسى، السياسة الخارجية السورية والانفتاح على الغرب بعد انهيار الاتحاد السوفيتي، أطروحة الدكتوراه غير منشورة، قدمت إلى كلية العلوم السياسية و الإدارية والدبلوماسية، الجامعة الإسلامية في لبنان، (بيروت، 2008) ، ص254.

36 - جريدة الأهرام، العدد(40848)، 8 تشرين الأول 1998.

37 - جريدة الأهرام، العدد(40849)، 9 تشرين الأول 1998.

38 - جريدة الأهرام، العدد(40850)، 10 تشرين الأول 1998.

39 - نقلاً عن: جريدة الأهرام، العدد(40851)، 11 تشرين الأول 1998.

40 - مجلة المشاهد السياسي "القاهرة تسعى إلى تسوية الحد الأدنى بين القاهرة ودمشق " العدد(137)،25. 31 تشرين الأول، ص15.

41 - جريدة الأهرام، العدد(40860)، 20 تشرين الأول 1998.

42 - خليل علي مراد، المصدر السابق، ص81.

43 - Mahmut Bali Aykan, The Turkish-Syrian crisis of October 1998, **Middle East Policy** 6.4 (Jun 1999),p. 174.

44 - جريدة الأهرام، العدد(40873)، 2 تشرين الثاني 1998.

45 - ينظر نص بيان وزراء خارجية دول إعلان دمشق في 12 تشرين الثاني 1998، في مجلة الدراسات الفلسطينية، ، المجلد10، العدد 37 (شتاء 1999)، ص 219 .

46 - بام اوتول، كريس موريس "أوجلان ضحية صفقة مشبوهة تهدد أحلام الأكراد بدولة كبرى " مجلة المشاهد السياسي، العدد(142)، 29 تشرين الثاني. 5 كانون الأول 1998، ص ص 18. 21 .

47 - مجلة المشاهد السياسي "اختفاء أوجلان" العدد(150)،24. 30 كانون الثاني 1999، ص5.

48 - مجلة الحوادث "السي إيه إيه والموساد فخختا الاستخبارات اليونانية بالاختراقات" العدد(2209)، 5 آذار 1999، ص 18.